

(٨)



إبراهيم محمد حسن الجمل

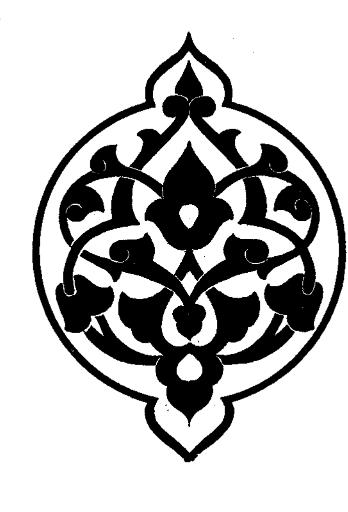
دار الفضيلة



أُسَامَةُ بن زَيْـد (رَضِيَ اللَّـهُ عَنهُمَا)

أُسامة بن زيد (رضى الله عنهما) القَائد الصَّغير ، حِبُّ رسول الله ﷺ ، وكفى بحُبّ رسول الله ﷺ منزلة ، فالرَّسول ﷺ لا يُصرِّح بالحبّ لإنسان إلَّا إذا كانت له صفات الكمال ، وهـذا ما اتّصف به أُسامة ، وأَبوه زيد (رضى الله عنهما) من قبل .





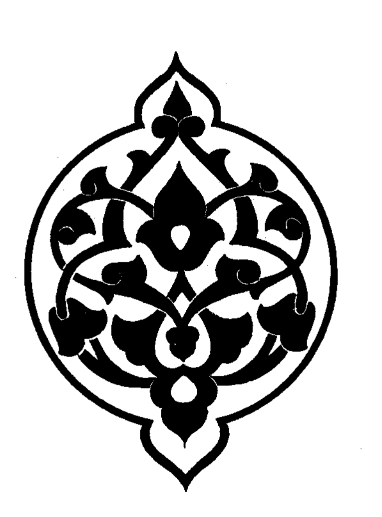
مَـنْ أَبـوَاه ؟

أَبو أُسامة : هـو زيد بن حـارثة بن شـراحبيل بن عبد العُزى بن قيس ، من قبيلة كلب ، من اليمن .

ولزيد هذا قصة عجيبة ، فقد خرجت به أُمُّهُ سعدى بنت ثعلبة من بيت زوجها حارثة ؛ لزيارة أهلها ، وفى الطَّريق أَغَارَتْ خيل لبنى القين ، تمكنت الأُمّ من الفرار ، وحثت ابنها على اللَّحاق بها ، لكنهم لختطفوه ، وكان فى الثامنة من عمره ... ثم باعوه فى سوق عكاظ المشهور بالتِّجارة ، وتجمع الشُّعراء .

والذى اشتراه : هو حكيم بن حزام ابن أخ السَّيدة خديجة بنت خويلد (رضى الله عنها) زوجة رسول الله ﷺ ، وتَصَادَف أن زارت السَّيدة خديجة (رضى الله عنها) ابن أخيها حكيم ، ورأت زيداً ، فأظهرت إعجابها به أمام ابن أخيها ، وما إن خرجت من بيته حتى أرسله إليها هدية منه لعمته ، وبعد أيّام من إقامته ، رأت زوجها ﷺ يكثر استخدام زيد فى شئونه ، فأهدته بدورها له ليكون خادمه الخاص ، فصار الخادم والصَّاحب والصَّديق .





ولما أرسل الله - عَزَّ وَجَلَّ - سيدنا مُحَمَّد ﷺ برسالته وطلب من النَّاس أن يؤمنوا بما جاء به ، كان زيد (رضى الله عنه) المؤمن الثانى بعد السيدة خديجة (رضى الله عنها) المُصدق بكل ما جاء به من الله جَلَّ شَأْنُهُ .

أَخْلصَ زيد (رضى الله عنه) لدينه ولرسوله ﷺ وعبادته حتى كان من أوائل الصَّحابة (رضى الله عنهم) ، حضر الغَزَوَات مع رسول الله ﷺ ، ثم كان قائداً فى غَزْوَة (مُؤتة) واستشهد ، ونال أعظم الدرجات عند الله سبحانه وتعالى .

لقد أَحبَّهُ الله - عَزَّ وَجَلَّ - لإخلاصه ، وأَحبَّهُ رسول الله ﷺ ، وصرَّح له بذلك فى أكثر من مرّة !

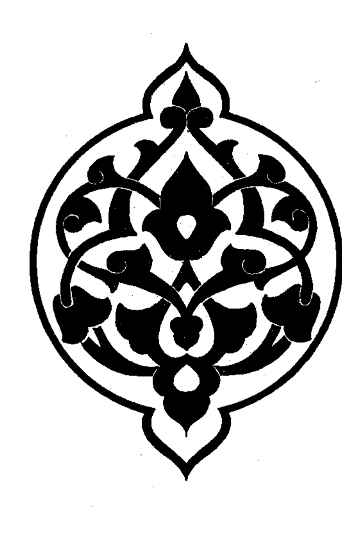


وهل هناك منزلة عظيمة تَفُوق منزلة زيد (رضى الله عنه) ؟!

يكفى زيد (رضى الله عنه) عزَّة ومكانة أَنَّ القرآن الكريم لم يُذْكر فيه اسم صريح من أسماء الصحابة إلَّا زيد بن حارثة ، إنه والد أُسامة (رضى الله عنهم أجمعين) ...

★ ★ ★

سمع زيد بن حارثة (رضى الله عنه) رسول الله ﷺ وهو يقول : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَتَزَوَّجْ أُمَّ أَيْمَنْ »[1] ، وهى بركة بنت ثعلبة مولاة النَّبىّ ﷺ ، ومربيته بعد موت أُمِّهِ ، وهو فى السادسة من عمره المجيد .



أَسْرَع زيد بن حارثة (رضى الله عنه) إلى زواجها ، والارتباط بها ، كان ذلك فى حوالى السَّنَة الرَّابعة بعد بعثة رسول الله ﷺ ... ولم يمض عام واحد حتى كانت الثَّمرة الأُولى من هذا الزَّواج طفل يحمل ملامح أَبيه بلونه الأَسمر ، وأَنفه الأَفطس .

أَسْموهُ (أُسامة) ، وراح مَنْ يُبَلِّغ النَّبىّ ﷺ بمولده وتَسْميته ، فجاء مُسرعاً وبارك لوالديه وتسميتهما له ، ودعا للصَّغير بكُلّ دَعَوات الخير والسَّعادة والبركة .

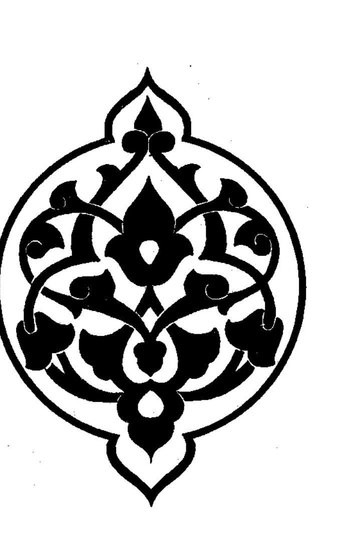
★ ★ ★



(١) انظر : « طبقات ابن سعد » (١٦٢/٨) .

نَشْـأَتُـهُ !

نَشَأَ أسامة (رضى الله عنه) والدَّعوة قد أخذت فى الانتشار ، فلم يتعلَّم شيئاً من أُمور الجاهلية ، وإنما نشأ يؤْمن من صِغَره بوحدانية الله - عَزَّ وَجَلَّ - ، ويَشهد أَنَّ محمداً رسول الله ﷺ ، وكانت الدَّعوة فى مكة تَسير سيراً حثيثاً ، والمسلمون يتحمَّلُونَ الصِّعاب التى يلاقونها من المشركين من أهل مكة .



حرص أبو أُسامة وأُمّه (رضى الله عنهما) على تعليمه بعض ما تعلَّماه من شئون الدَّعوة ، وهو فى سنّ الطفولة ، حفظ بعض آيات القرآن الكريم ، فقومت لسانه وزادت من معرفته بتوحيد الله - عَزَّ وَجَلَّ - وتمجيده ، وكان يُقلّد أَباه وأُمَّه فى أقوالهما وصلاتهما ، فيفعل مثل ما يفعلان .

ثم هاجر إلى المدينة مع أبويه ، وسمعَ بما يتفق عليه المسلمون من محاولة الانتقام من الذين أَذَاقُوهم العذاب الشَّديد فى مكة وكانوا يستعدون لقتالهم والأخذ بالثَّأر منهم ، حتى كانت غزوة بدر الكبرى ..

قال أُسامة (رضى الله عنه) وقد بلغ العاشرة : يا أبتاه ! أُريد أن أُجاهد فى سبيل الله !

قال أَبـوه (رضى الله عنه) : يا بنىّ العزيز ! هل تستطيع حَمْل السَّيف ؟

قال أُسامة (رضى الله عنه): وهل الحرب – يا أبتاه – لا تكون إلَّا بالسَّيف ؟

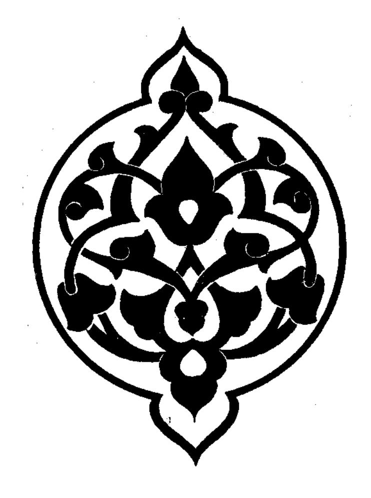
قال أَبـوه (رضى الله عنه) : فبأىّ شىء تريد أن تُحَارب الأَعداء يا أُسامة ؟

قال أُسامة (رضى الله عنه) : أضربهم بالنِّبال ، فأُصيب بعضهم .

قال أَبـوه (رضى الله عنه) : ولكنى – يا بُنىّ – أخاف عليك من هجوم الأعـداء ، ومن خيولهم ، ومن سيوفهم ورماحهم .

قال أُسامة (رضى الله عنه) : ولكن – يا أبتاه – تشتاق نفسى لحضور المعركة .

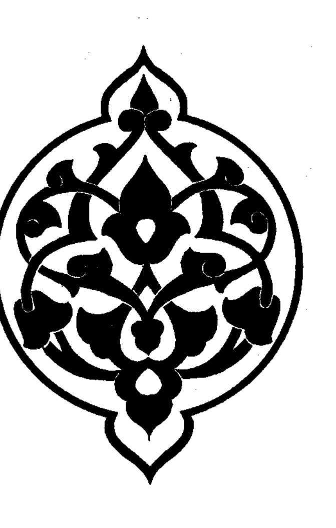
قال أَبـوه (رضى الله عنه) : يا بنىّ العزيز ! صبراً ، فسوفَ تكبر وتتحَمَّـل مسئولية الجهَاد ، وهى لَيسَتْ سَهْلَة ، وسوف يُعينك الله ويَحْفَظك ويَرعَاك .



★ ★ ★

وَجَاءَتْ غَزْوَة أُحُـد

كان عُمْر أُسامة (رضى الله عنه) إحدى عشر سنة ، لكن حماسه يدفعه لأن ينزل إلى المعركة ، رأى المسلمين وهم فى طريقهم إلى جبل (أُحُد) ، فأخذ درعه ، وحمل سَيْفه ، ولحق بالمجاهدين .



تساءل النَّاس : مَنْ يكون هذا الغلام ؟ ومَنْ الذى سمحَ له بحضور المعركة ؟

عرف القوم أنه أُسامة بن زيد (رضى الله عنهما) ، وأنه تَطَوَّع من تلقاء نفسه للاشتراك فى المعركة .

أشفق عليه النَّاس ، وما زالوا به حتى أَقْنَعُوه بالعدُول عن رأيه ، ووعَدُوه بأن المعارك الآتية كثيرة ، وإن شاء الله يكون قد كبر وتَدَرَّب على ركوب الخيل ، ولِبْس الدّرُوع ، وتَمرَّن على الضَّرب بالسَّيف . وهذه هى بداية الطريق للاشتراك فى المعارك ، وعلى استعمال الرِّماح ، وعلى الكر والفر ، وإصابة الأعداء ، فاقتنع ورجع إلى البيت .

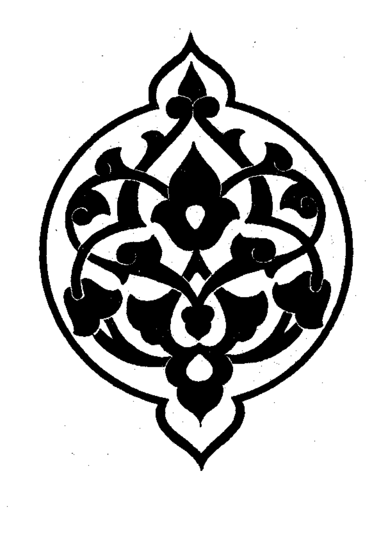
★ ★ ★

كانت حياة المسلمين فى جهاد دائم مع أعداء الدَّعوة ، وكان زيد بن حارثة أبو أُسامة (رضى الله عنهما) فى جهاد دائم تحت راية من يختاره النَّبىّ ﷺ ليتولى القيادة .



فإذا رجع من غزوة من الغزوات راح يَقُصّ على ابنه أُسامة (رضى الله عنه) ما فعل مع الأعداء ، ويذكر ما قام به من قتال حتى انتصر عليهم ، وأُسامة (رضى الله عنه) يُنْصت إليه ، مُفْتخراً بأبيه الذى يأتى دائماً بالنَّصر وهزيمة أعداء الإسلام ، ثم جاء دوره الأكبر فى غَزْوَة (مُؤتة) .





أُسَامَةُ (رَضِىَ اللَّهُ عَنهُ) وَغَزْوَة مُؤتة

أرسل النَّبىّ ﷺ رسولًا من رسله إلى عامل هرقل على بُصْرَى ، ولكنهم قتلوا هذا الرسول ، وصار عامل هرقل مسئولًا عن قتله ، ولا بد من تأديبه .

دعا رسول الله ﷺ فى جمادى الأولى من السنة الثامنة ثلاثة آلاف من خيرة الصحابة (رضى الله عنهم أجمعين) ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة (رضى الله عنه) ، وأَبَى أُسامة بن زيد (رضى الله عنهما) إلَّا أن يذهب مع أبيه ، وحاول زيد (رضى الله عنه) أن يثنى ابنه عن الذِّهاب معه فلم يُفْلح ... فسار معه وقد لَبس درعه وحَمَل سيفاً ، وهو سعيدٌ باشتراكه فى القتال والحرب .

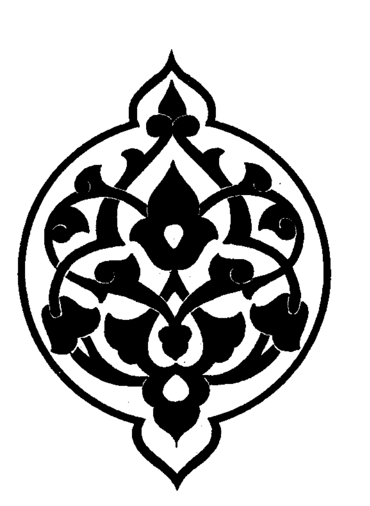
قال ﷺ : « إنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فَجَعْفَر بن أَبى طَالب

على النَّاس ، وَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَر فَعَبد الله بن رَوَاحَة عَلَى النَّاس »[١] .

وخرج هذا الجيش ، وخرج معه خالد بن الوليد (رضى الله عنه) ، وكان فى أوّل إسلامه ، وَدَّعَ النَّاسُ أمراء الجيش والجيش ، وسار معهم رسول الله ﷺ حتى ظاهر المدينة ، يُوصيهم أَلَّا يقتلوا النِّساء ولا الأطفال ولا المكفُوفين ولا الصِّبيان ، وأَلَّا يهدموا المنازل ، ولا يقْطَعُوا الأشْجَار .

ثم رجع ﷺ وقد أكثر من الدعاء لهم .





وصلت أخبار هذا الجيش إلى هرقل ، فأمر بإعداد جيش كبير ، قالوا : إن عدده وصل إلى مائتى ألف بقيادة أخو هرقل « تِيودور » .

بلغت هذه الأخبار المسلمين وقادتهم ، فأقاموا ليلتين يُفَكِّرونَ فيما هم فاعلُونَ أمام هذا العدد ... ثم استقرّ رأيهم على الاشتباك مع العدُوّ .

انحاز المسلمون إلى قرية (مؤتة) وتَحَصَّنوا بها ، ودارت المعركة بقيادة الأمير زيد بن حارثة (رضى الله عنه) ، وحارب حرب المُسْتَميت حتى مزّقته رماح الأعداء ، فتناول الرَّايَة من يَده جَعْفَر بن أبى طالب (رضى الله عنه) ، فأَحاطَ العدوُّ بفرسه ، فعقرها ، واندفع بنفسه وسط القوم يهوى سيفه برءُوسهم ، وكان

---

(١) انظر : « البداية والنهاية » (٢٤١/٤) .

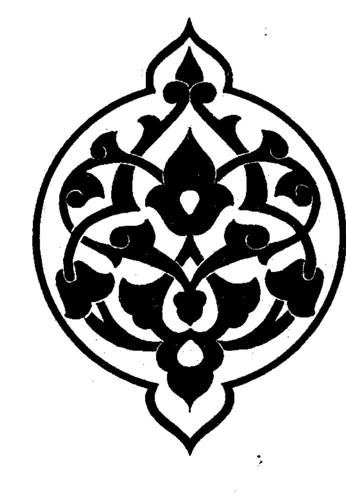
اللّواء بيده اليُمنى فَقُطعَتْ ، فأَخذ اللّواء بيدِهِ اليُسْرى فَقُطعَتْ ، فاحتضنه بعضديه حتى قُتِل .

فلما قُتل جعفر (رضى الله عنه) أَخذَ الرَّايَة عبد الله ابن رَوَاحَة ، وأَخذ سيفه فقاتل حتى قُتل .

لقد حزن النّبىّ ﷺ على زيد ، وجعفر ، وعبد الله ابن رواحة (رضى الله عنهم) حزناً شديداً وقال : « لقد رُفعوا إلىّ فى الجنَّة ، فيما يرى النَّائم على سُرُرٍ من ذَهَب ، فرأيت سرير عبد الله بن رواحة مزوراً عن سَرِيرَىْ صاحبيه ، فسأل : لِمَ هذَا ؟ فقيل : مَضَيَا ، وتردد عبد الله بعض التردد ، ثم مضى » .

★ ★ ★

ثم أُسندَتْ القيادة إلى خالد بن الوليد (رضى الله عنه) ، فاستطاع بما له من عبقريّة ومَهَارة ، وتحريك للجيوش أن يناوش العدوّ حتى ساعة متأخرة من الليل ، وفى الصَّباح صَفّ جيشه ، وأكثر الجلبة وخدع العدوّ ، وانسحب بعيداً عن المعركة ، ثم رجع إلى المدينة بما بقى من الجيش .

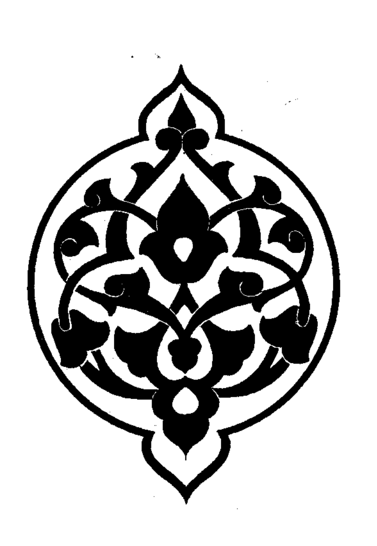


إن هذه المعركة غير المتكافئة ، وما حصل فيها من قتال وجراح قد شدت من عزيمة أُسامة (رضى الله عنه) ، وتركت فى داخله شقًّا غائراً لا يشفيه إلَّا أن ينتقم من الروم الذين قتلوا أباه أمامه ، وقتلوا أصحابه (رضى الله عنهم أجمعين) .

★ ★ ★

لقد كان أُسامة (رضى الله عنه) حزيناً باكياً على ما لاقاه أبوه فى معركة غير متكافئة ، ولكن كان يُخفِّف عنه ما رآه من الأَسى ، وما لمحه على وجه النَّبىّ ﷺ من آثار الحزن على شُهَدَاء (مؤتة) ... وتمنَّى أُسامة (رضى الله عنه) في قرارة نفسه أن تتاح له الفرصة لمحاربة الرُّوم حتى يثأَر لشُهَداء (مؤتة) جميعاً .

وكذلك فقد كان حزن أهل المدينة عميقاً ، لذا فقد قَرَّر رَسُول الله ﷺ أن يخرج بنفسه على رأس جيش لمحاربة الرُّوم ، ولكن بعد أن يُعدّ لهذه الغَزْوَة إعداداً كاملًا حتى يقضى على هيبة الروم تماماً ، ويُؤَمِّن حدود بلاد المسلمين من ناحية الشام .





أُسَامَة (رَضِىَ اللَّهُ عَنهُ) وَفَتْح مَكَّة

كان صُلْح الحديبية بشروطه هو حلقة الاتصال بين رسول الله ﷺ ، وأهل مكة ، ومن هذه الشروط أن تحترم قبيلة بنى بكر الموالية لقريش من أهل مكة ، قبيلة خُزاعَة التابعة لرسول الله ﷺ والمسلمين ، فلا تَعْتدى عليهم ولا تُحَاربهم ، ولكن قبيلة بنى بكر أَغَارَتْ على خُزاعة بالقتل والتَّعذيب بالرَّغم من أنها احتمت بالبيت الحرام .

أرسلت خزاعة رسولًا إلى المدينة ليُبلِّغ النَّبى ﷺ بما أَقْدَمت عليهِ بنو بكر من نَقْضهم للعَهْد ولصُلح الحديبية .

وصل وفد بنى خُزَاعَة إلى المدينة ، والنَّبىّ ﷺ جالس فى المسجد بين النَّاس ، وجعل يَقُصّ ما حدث ، ويطلب من الرسول ﷺ النُّصرة ، فقال ﷺ : « نُصرت يا خُزاعة » .

★ ★ ★

أرسل رسول الله ﷺ إلى قريش مَنْ يُبلِّغهَا بما فعلته مع خُزاعة ، أنها نَقَضَتْ العَهْد ، وأنها بين أُمور ثلاثة :

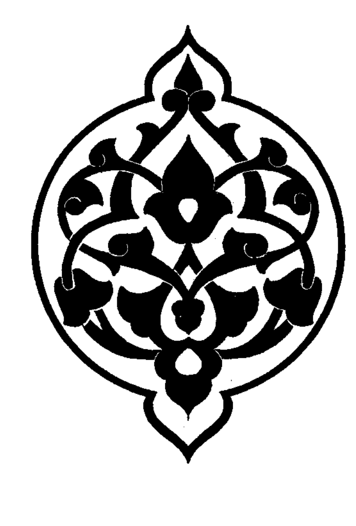
الأَول : أن تدفع دية القتلى لخزاعة .

الثانى : أن تنقض محالفتها لبنى بكر .

الثالث : أن تعتبر معاهدة الحديبية مُلغاة .

كان ردّ قريش أنها ألغت معاهدة الحديبية .

فأَصبحت الحرب لا مفرّ منها ، وأَعْلَن النَّبىّ ﷺ أنهُ قَرَّر فتح مكة ودعا المسلمين إلى الاستعداد للزَّحْف إلى قريش ومن معهم .



★ ★ ★

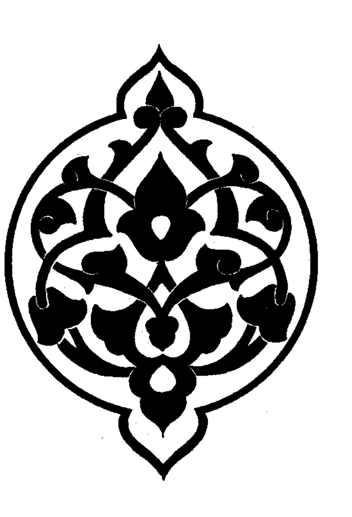
تجمَّع المسلمون من كل مكان ، ووصل عددهم إلى عشرة آلاف ، وتحرّكوا فى اليوم الذى حدَّده قائد المسيرة ، متجهين جهة مكة ، فقد حانَتْ السَّاعة التى سيُقْضى فيها على الأصنام والشِّرك والوثنية ، وجعل مكة العاصمة الكبرى للمسلمين .

ركب النَّبىّ ﷺ بغلته البيضاء وهو بين المسلمين

ترتفع أَصواتهم بالتَّكبير والحَمْد والشُّكر لله العلىّ القَدير .

من كان يُفكر أن رسول الله ﷺ الذى خرج من مكة مهاجراً ليلًا خائفاً من سطوة المشركين يعود بعد سنوات معدودة فى جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل ، فحمداً وشكراً لرَبّ العَالمين .

★ ★ ★



كانت العُيون متَّجهة إلى رسول الله ﷺ ، وقد تحققوا من أن ردفه [1] شاب أسمر اللَّون ، تُرَى مَنْ نال هذا الشَّرف العظيم ؟ فراحوا يسألون عنه ، فعرفوا أنه أُسامة بن زيد (رضى الله عنهما) حِبّ النَّبىّ ﷺ ، وظلّ حتى وصل إلى الكعبة ، ودخل الرسول ﷺ ليصلِّى فيها ركعتين ، ولَم يدخل معه إِلَّا أُسامة (رضى الله عنه) ، ومن سيرفع صوته بالأذان إنه بلال بن رباح (رضى الله عنه) .



لقد حقق الله - عَزَّ وَجَلَّ - وعده ، ففتح مكة للمسلمين من غير حرب أو قتال سوى مناوشات قليلة .

لقد ظنّ أهل مكة أن رسول الله ﷺ سوف ينتقم منهم ، ولكن كانت أكبر مفاجأة لهم حينما قال لهم : « يا أَهْل مكَّة مَا تَظُنُّون أَنِّى فَاعلٌ بِكُم ؟ قالُوا : خَيراً ،

---

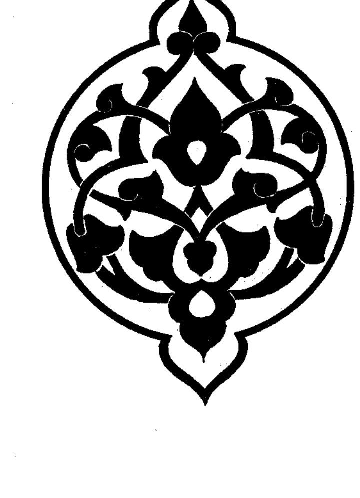
(١) **الرِّدف** : أى الذى يركب خلفه على دابته .

أَخٌ كَرِيم وَابن أَخ كَرِيم ، فقالَ ﷺ كَلمَتهُ الخَالدَة : اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلقَاء »[1] .

من هذا اليوم أصبحت مكة العاصمة الدينيَّة للمسلمين بما فيها من مقدَّسات دينيَّة ، يحجّ إليها المسلمون القادرون كلّ عام فى أَيَّامٍ مَعلُومَاتٍ مَعدُودَات ، ويَعْتَمر إليها المسلمون طوال العام .

★ ★ ★

أُسَامَة (رَضِىَ اللَّهُ عَنهُ) فى غَزْوَة حُنَين



كان انتصار المسلمين يوم فتح مكة عظيماً ، كان الفاتحون فى فرحٍ وسُرور ما بعده سُرور ، فقد وطئت أرجل المهاجرين أرضَ وطنهم الأول ، ومعهم أُسامة (رضى الله عنه) الذى راح يتنقل فى أحياء مكة كالطَّائر الذى رجعَ إلى عشّه الأول بذكرياته وآماله ..

وبينما أُسامة (رضى الله عنه) فى تأَملاته وتصوراته سمعَ أن هوازن وثقيف ومن معهما من القبائل المجاورة ، وعلى رأسهم مالك بن عوف يَستعدُّونَ لحرب المسلمين .

وصلت الأنباء إلى رسول الله ﷺ بما أقدمت عليه القبائل ، وهى التى تَسْكن شرق مكة ، فقد عزّ على هؤُلَاءِ أن تصبح مكة تحت رعاية الرسول ﷺ والمسلمين ،

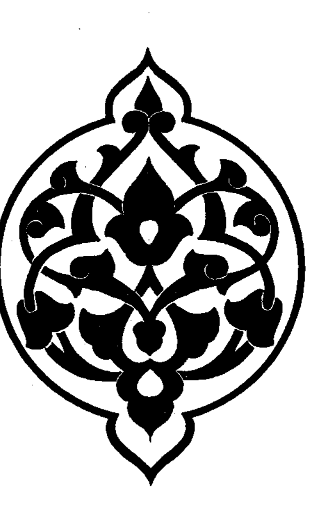
(١) أخرجه البيهقى (١١٨/٩) .

فخرجوا يُريدون الحرب والقتال والاستيلاء على مكة بالقوة .

وتأكد ذلك للنّبىّ ﷺ ، فأعلَن الحرب عليهم وأَمَرَ مُنادياً أن يُنادى للجهَاد فى سبيل الله ، وسرعان ما تجمَّع المسلمون وأخذوا أهبتهم ، وكانوا لا يزالون فى مكة ، وهم يزيدون على عشرة آلاف ، وانضم إليهم ألفان آخران من الذين أسلموا حديثاً ، وجاءوا لينالوا شرف الجهاد بعد اشتراكهم فى فتح مكة .



تحرَّك القَائد العظيم مُحَمَّد بن عبد الله ﷺ ومن معه من المسلمين ، وفى مقدمتهم أُسامة بن زيد (رضى الله عنهما) ، وهو أكثر استعداداً للحرب والقتال ، فقد بلغَ السادسة عشرة ، وأكثر من المرَان على ركوب الخيل والضَّرب بالسَّيف والرّمح ، ست سنوات مُنذ بلغ العاشرة ، وهو يريد أن يدخل المعارك ، لقد منع لصغر سِنِّه فى الماضى أما الآن ، فلن يمنعه أحد .





ذهب الزَّهو بجيش المسلمين مَدَاه ، واغْتَروا بكثرة عددهم .

قال بعضهم : « لَنْ نُغْلَبَ اليَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ » .

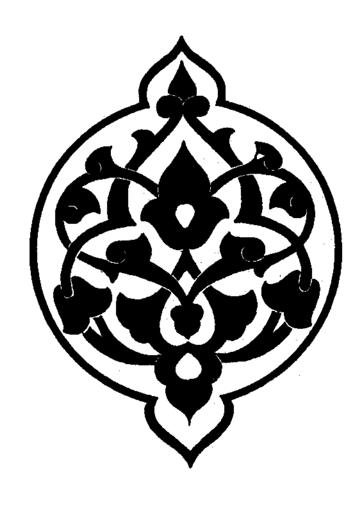
تَواكَلَ بعضهم على بعض ، وتَهَاوَنُوا فى أَداءِ واجبهم ، وكان عددهم وعُدَّتهم أكثر ، ففوجئَ المسلمون

بالعـدوّ يزحـف عليهم من كل جـانب ، فلم يكن أمـامهم إلَّا التَّقَـهْقر إلى الـخَلْف ، والعدو يزحف عليهم .

وكانت مفاجئة للقائد ، فتنبّه ﷺ للخطر الدَّاهم ، فوقف ثابتـاً مكانه ، ونادى بأعلى صوته نداءً اهتز له الكون : « إِلَى أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ ... هَلُمُّوا إِلَيّ ... أَنَا رَسُولُ اللهِ ... أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ... أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ ... أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ »(١) .

★ ★ ★

الـمُؤْمِنُونَ يَلْتَفُّونَ حَوْلَ النَّبِـىّ ﷺ



كانت ساعة عصيبة ، النَّاس تجرى ، وهم فى فَوْضَى وذهُول ، وتَلَفَّتْ النَّبىّ ﷺ ، فرأى أحد عشر مؤمناً ، قرروا ألَّا يتَخلّوا عن رسول الله ﷺ فى هذا الموقف العَصيب حتى ولو مزَّقتهُم سيوف الأعداء .

كان من بينهم أَبو بكر ، وعُمَر ، والعبَّاس ، وعليّ بن أبى طالب ، وأُسامة بن زيد (رضى الله عنهم أجمعين) .

وبعد أن نادى النَّبىّ ﷺ نداءه ، تلاه نداء عمّه العبَّاس (رضى الله عنه) ، يدعو النَّاس إلى الحرب وقتال الأعداء ، فتراجعوا ، والْتفّوا حول النَّبىّ ﷺ ، وتقابلوا مع المشركين فى حرب وقتال ، وأعملوا السيوف فيهم فَيُقْتَلُ مَنْ يُقْتَل ، ويفر من يفر ، وأصبح الموقف بيد المسلمين ، وانهزمت هوازن ومن معهم شرّ هزيمة .

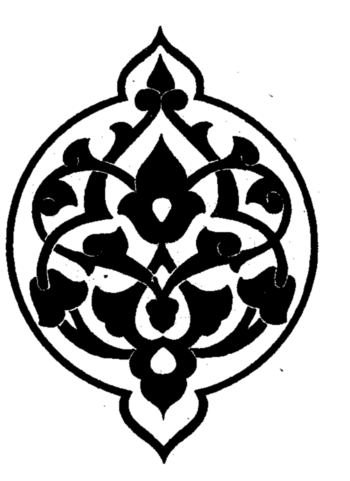
---

(١) أخرجه البخارى (٢٤٢/٣) ، والترمذى (٣٥٣٢) .

دَوْرُ أُسَامَة (رَضِىَ اللَّهُ عَنهُ) فِى الغَزْوَة

لقد كان أُسامة (رضى الله عنه) فى امتحان كبير ، لقد رآه رسول الله ﷺ وهو الفارس الذى لَاقَى الأعداء بكل شَجاعة وفروسيّة ، كانت أكبر من سِنّه ، قد وقفَ خَلْف النَّبىّ ﷺ يَضرب الأعداء بسَيْفه البتَّار ويبعدهم عن ساحة القيادة الحكيمة وعن رسول الله ﷺ ، رآه رسول الله ﷺ فى هذا الموقف ، ورأى قوّتهُ وشجاعتهُ فكوّن صورة واضحة لمن يتأهّب ليتولى قيادة الجيوش فى الغَزَوَات الآتية .





مَكَانَةُ أُسَامَة (رَضِىَ اللَّهُ عَنهُ) عِندَ رَسُول اللَّه ﷺ وثقته به

كانت مكانة أُسامة (رضى الله عنه) فى بيت النّبوة معروفة من تردده هو وأَبوه وأُمُّهُ ، وكانت ثقتهم فيهم كبيرة ، حتى لقد ذهب البعض إلى جعلهم من أهل البيت ، وهم من المقصودين فى قوله تعالى : ﴿ ... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [١] .

---

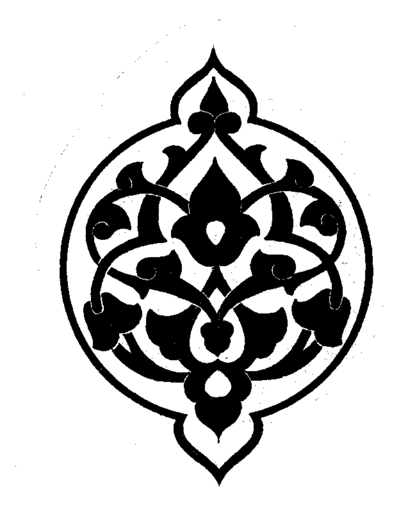
(١) سورة الأحزاب ، الآية (٣٣) .

وروى أُسامة (رضى الله عنه) فقال : كانَ النَّبىّ ﷺ يأخذنى والحَسَن (رضى الله عنه) فيقول : « اللَّهُمَّ إِنِّى أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا »[1] .

★ ★ ★

وكانت ثقة رسول الله ﷺ بأُسامة (رضى الله عنه) كبيرة ، فقد وضعه فى منزلة ابنه ، فكان يُشاوره ... وقد يأخذ برأيه فى كثير من الأُمور إذا كان هناك ما يستدعى ذلك .

فعندما بلغ النَّبىّ ﷺ ما قاله النَّاس فى حادثة الإِفْك المعروفة ، وما روّجه البعض من أهل السوء فى عائشة (رضى الله عنها) بدأ رسول الله ﷺ بسؤال أُسامة (رضى الله عنه) عمَّا يعرفه عن عائشة (رضى الله عنها) بالنسبة لهذا الموضوع ... فأكد له أُسامة (رضى الله عنه) أن عائشة (رضى الله عنها) فوق الشبهات ، وأن كل ما يقال عنها إن هو إلَّا محض افتراء وكذب ، فحقيقة إن أُسامة بن زيد (رضى الله عنهما) من أهل البيت .





(١) انظر : « طبقات ابن سعد » (٤/٤٦) .

الرَّسُـولُ ﷺ يُـزَوِّج أُسَـامَةَ (رَضِىَ اللَّـهُ عَنـهُ)

طلَّق أبو عمرو بن حفص وهو غائب بالشام فاطمة بنت قيس (رضى الله عنها)، وأرسل لها شعيراً فلم تقبله، فاشتكته إلى رسول الله ﷺ ... فأمرها أن تقعد فى بيت أُمّ شُرَيْك، ثم قال: « اعْتدى عندَ ابن أُمّ مكتوم فإنهُ رَجُلٌ أَعْمَى، تضعين ثيابك فَلَا يَراكِ، فإِذَا أتممت العدّة، فأتى إلىّ » .

فلما أتمت العدَّة، ذهبت إلى رسول الله ﷺ، فذكرت له أن معاوية بن أبى سفيان (رضى الله عنهما)، وأبا جهم (رضى الله عنه) خطباها .

فقال رسول الله ﷺ: « أما أبو جهم، فلا يضع عصاه عن عاتقه: أى كثير الأسفار، وأما معاوية بن أبى سفيان فترب لا مال له .. أنكحى - أى تزوجى - أُسامة بن زيد » .

قالت فاطمة بنت قيس (رضى الله عنها): فكرهته !

ثم قال ﷺ: « أنكحى أُسامة »[١] .

فتزوجته، فجعل الله - عَزَّ وَجَلَّ - فيه خيراً، واغتبطت به .



---

(١) أخرجه البخارى (٨٣/٧)، ومسلم « الطلاق » (٣٦) .

نَصَائحهُ ﷺ لأُسَامَة
(رَضِىَ اللَّهُ عَنهُ)

كان رسول الله ﷺ دائم النُّصح لأُسامة (رضى الله عنه) ، أقبل عليه يوماً فنصحهُ وكان ممَّا قاله :

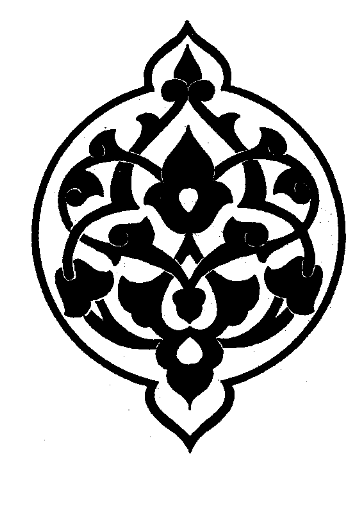
« يَا أُسَامةُ ! عليكَ بطَريق الجَنَّة ، وإيَّاك أَنْ تحيد عنهُ فَتخْتلج (تَضْطرب) دُونَها » .

« يَا أُسَامةُ ! عليكَ بالصَّوم ؛ فإنهُ يُقَرِّبكَ مِنَ الله ، إنَّهُ ليسَ شىء أَحَبّ إِلَى الله من رِيحِ فَم الصَّائم ، تَركَ الطَّعَام والشَّرَاب لله عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنِ اسْتَطَعت أَنْ يَأْتيك الموت وَبَطْنك جَائع ، وَكَبدك ظَمْآن فافْعَل ، فَإِنَّكَ تدرك شَرف المنَازل فى الآخرة ، وتحلّ مع النَّبِيِّينَ ، وَيَفْرَح الأَنْبيَاء بقدُوم رُوحكَ عليهم »[١] .

« يَا أُسَامةُ ! كُلّ كَبدٍ جَائعَة تُخَاصمكَ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ يَوْم القِيَامَة »[٢] .

وفى هذا حَضٌّ على إطعام الجائع والمسكين .





---

(١) أخرجه ابن عساكر (٢/٤٠٠) .

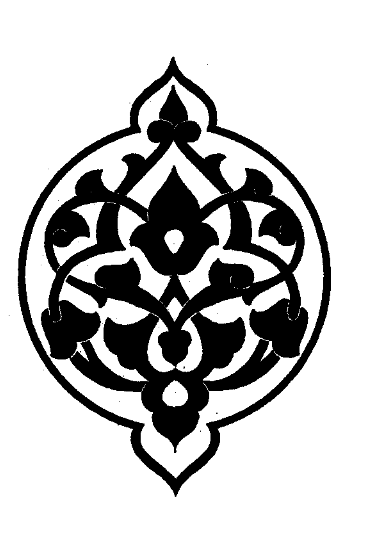
(٢) انظر : « المطالب العالية » رقم (٣١٦١) .

رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ يَثْأَر مِنَ الرُّوم

لم ينس النَّبىّ ﷺ ما فعله الرُّوم بالمسلمين من قتلهم للقَادَة الثلاث : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحة (رضى الله عنهم) فى غَزْوَة (مؤتة) ، ولولا خدعة خالد بن الوليد (رضى الله عنه) لهلك المسلمون عن آخرهم .

لكنه ﷺ يُصِرّ على الانتقام من الرُّوم ، فهو يُخطِّط ويحدِّد الساعة التى يعدّ الجيش الذى سيذهب إلى أرض الروم ، إنه لا يرى مانعاً أن يعلن ذلك صراحة بغزوته هذه على خلاف عادته من كتمانه لمكان المعركة وزمانها .





ذكّر رسول الله ﷺ المسلمين بغزوة (مؤتة) ، وما فعلهُ الروم بالمسلمين ، فراح يدعو المسلمين إلى الاستعداد للانتقام والأخذ بالثأر ، كان ذلك لأربع أيّام من شَهْر صَفَر من نفس السَّنة .

أقبل المسلمون من كل مكان مستعدِّين للحرب والقتال ، فجهَّزُوا متاعهم وأسلحتهم منتظرين أمر الرسول ﷺ بالتوجه إلى ساحة المعركة .

كان أُسامة (رضى الله عنه) كجندى يُقاتل فى سبيل الله من أكثرهم استعداداً ، فهو سيأخذ بثأر أبيه والمسلمين ، وليس عنده مانع فى أن يستشهد فى الساحة التى قُتلَ فيها زيدٌ أبوه (رضى الله عنه) .

وبينما أُسامة (رضى الله عنه) يَعُدُّ العدَّة ، أرسل إليه رسول الله ﷺ رسولًا يأمره بالحضُور سريعاً لديه .

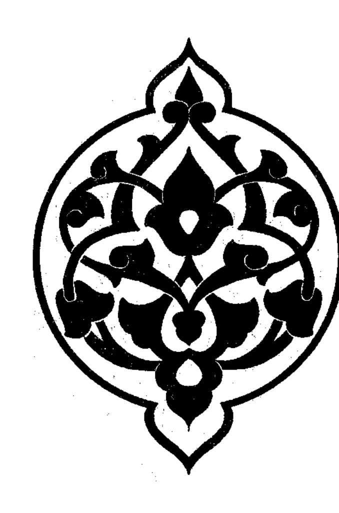
لبَّى الطَّلَب ، وأسرع للقاء النَّبىّ ﷺ فأجلسهُ النَّبىّ ﷺ بجواره وألقى إليه أمره ونصائحه قائلًا :

« سِرْ إلى موضع مقتل أبيك ، فأوطئهم الخيل ، فقد ولَّيتك هذا الجيش ، فأَغِرْ صباحاً على أهل (أُبْنَى) وحرِّق عليهم ، وأَسْرع السَّير تَسبق الأخبار ، فإنْ ظفرك الله فأقلل اللّبث فيهم ، وخُذْ معك الأَدلَّاء ، وقدم العُيون والطَّلائع أَمامك » .

قال أُسامة بن زيد (رضى الله عنهما) : سمعاً وطاعة يا رسول الله ، اللَّهُمَّ أَعنِّى على أَن أَقُوم بالوَاجب خَير قيام ، وأَنْ أَكون مُنفذاً لما يأْمُرُنى بهِ رَسُول الله ﷺ ، وأَن أَكون عندَ حُسْن ظَنّ الجميع ، والله المستعان به على كل أَمر .



انتشر خبر انتقام النَّبىّ ﷺ من الرُّوم بين المسلمين ، فكانوا على أهبة الاستعداد للذهاب إلى المعركة والانتقام من الروم ، ولم يشغل بالَهُم شىء إلَّا ما كان من تَولية أُسامة بن زيد (رضى الله عنهما) قيادة هذا الجيش ، وهو لم يتجاوز العشرين من العُمْر ... وفى الصَّحابة مَنْ هو أَوْلى بهذا المنصب لما لَهُم من خبرة طويلة بالقيادة ومُحَاربة الأعداء ، ففيهم عبقرىّ الحرب خالد بن الوليد ،



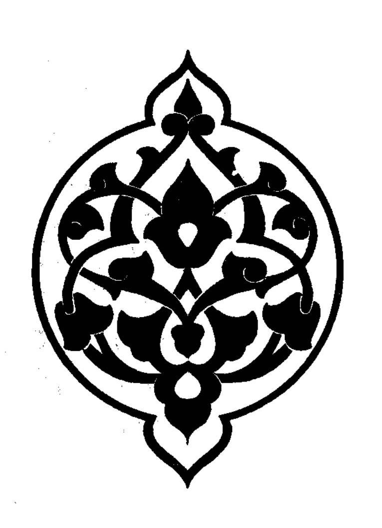
وأبو بكر الصِّديق ، وعُمَر بن الخطاب ، وأَبُو عُبيدَة بن الجرَّاح ، وسعد بن أَبى وقَّاص وغيرهم من كبار الصَّحابة (رضى الله عنهم أجمعين) .

★ ★ ★

الرَّسُـولُ  يَتَكَلَّم

علمَ رسول الله ﷺ بما تكلم البعض به فى موضوع تولية أُسامة (رضى الله عنه) قيادة الجيش لمحاربة الروم ، فصَعَد المِنْبَر وخطب خطبة طويلة وكان ممَّا قاله :

« ... إنَّ ناساً طَعنُوا فى تأْمير أُسَامَة ، وإِنهُ لخليق للإِمَارَة ، وإِن كانَ زَيْد لأَحَبّ النَّاس إِلىّ ، وإِن ابنهُ لأَحَبّ النَّاس إِلىّ بعد أَبيه ، وإِنِّى لأَرجُو أَن يكونَ من صَالحيكُم » [١] .



إن الصحابة ليؤمنون إيماناً كاملًا ، بما يختاره رسول الله ﷺ ، ويخضعون خضوعاً تامًّا لأمره .

تَوجَّهُوا إلى المكان الذى يتجمَّعون فيه على بُعْد ثلاثة أميال من المدينة المسمى بـ (الجرف) منتظرين ساعة الأمر بالذَّهاب إلى مكان المعركة ، ولكن حدث ما لم يكن فى الحُسْبَان ، فقد أصاب المرض رسول الله ﷺ ، فأحسّ بعد أداءِ الصَّلاة بصداع ، وارتفاع فى درجة الحرارة ، واستطاع النَّبىّ ﷺ أن يقاوم ، وأن يُواصل عمله ، فالمرض لم يكن من الشِّدة بحيث يُلزمه فراشه .

---

(١) انظر : « طبقات ابن سعد » (٤/٤٨٠) .

استدعى رسول الله ﷺ أُسامة (رضى الله عنه) للمرة الثانية ، وعقد له اللِّواء بيديه الشريفتين ثم قال له : « اغزُ باسم الله فى سَبيل الله ، فَقَاتل مَنْ كَفَر بالله » [(١)] .

★ ★ ★

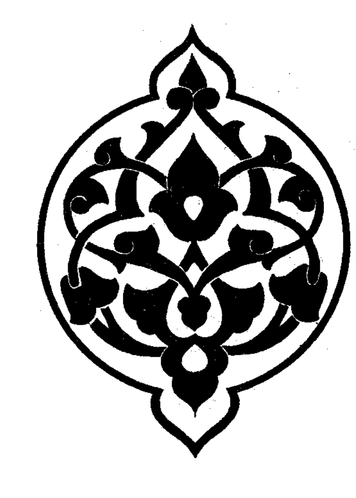
تناول أُسامة (رضى الله عنه) اللِّواء من النَّبىّ ﷺ ، وهو فَرِحٌ مسرور ، ثم دفعه إلى بُريدة بن الحُصَيْبِ الأَسْلَمى (رضى الله عنه) وأعد نفسه لمعسكر (الجرف) .

ووفد على الجرف باقى المسلمين والمنتدبين لهذه الغزوة ، ومنهم كبار الصحابة (رضى الله عنهم) .

وبينما المسلمون يُكْمِلُونَ توافدهم بالجرف ، اشتدت الحمَّى بالرسول ﷺ ، وكان فى بيت ميمونة (رضى الله عنها) ، فاستأذن نساءه أن يجرى تمريضه فى بيت عائشة ، فوافقن على ذلك (رضى الله عنهن) .

خرج ﷺ وقد عصّب رأسه ، يتوكَّأ على علىّ بن أبى طالب ، وعلى عمّه العبَّاس (رضى الله عنهما) ، وهو فى أشدّ حالات الإعياء .

★ ★ ★



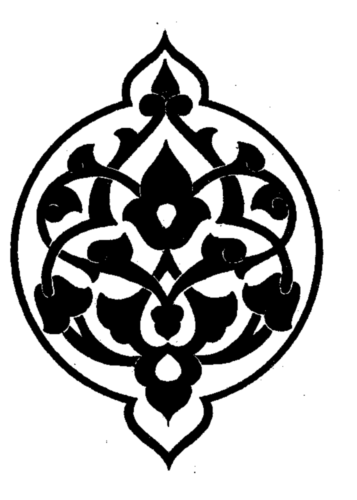
وصلت أخبار إلى رسول الله ﷺ أن بعض المسلمين ما يزالون متذمرين من تعيين أُسامة (رضى الله عنه) بالرَّغم ممَّا قاله من قبل ، وخشى أن يستغل المنافقون عدم رضا البعض عن تعيين أُسامة (رضى الله عنه) ويقومون

---

(١) « المسانيد » (٢/٤٩٢) .

بالفتنة ، فيختلف المسلمون ، فطلب ﷺ ممن حوله وهو فى مرضه أن يسكبوا عليه سبع قِرَبٍ قد مُلِئَتْ بالْمَاءِ مِنْ سَبْع آبَار مختلفة .

وسَرْعَان ما أُحضرت القِرَبُ السَّبْعُ ، وأُقعد النَّبىّ ﷺ فى طست لحفصة ، وصبُّوا عليه ماء القِرَب ، ولما ابترد جسده ، وخفت حرارته قال : حَسْبكُم ... حَسْبكُم ... ، ثم عصَّب رأسه ، وخرج إلى المسجد ؛ وخَطَب فى المسلمين قائلًا : « أيُّها النَّاس ... أنفذوا بعث أُسامة ، فَلَعَمْرِى لئن قُلتُمْ فى إمَارته ، لقد قُلتُمْ فى إمَارة أَبيه من قَبْله ، وإنهُ لخليق للإِمَارَة ، وإنْ كانَ أبُوه لخليقاً لها » .



وفى نهاية خطبته أَوصى بالأَنصار خَيراً ، فقال : « يَا مَعشَر المهاجرين ... استَوْصوا بالأَنْصَار خَيراً ، فَإِنَّ النَّاس يَزيدونَ ، والأَنصَار على هيئتها لا تزيد ، فاقبلُوا من مُحْسنهم ، وتَجَاوزُوا عن مُسيئهم »[1] .



ألقى رسول الله ﷺ خطبته هذه ، ثم عاد إلى بيت عائشة (رضى الله عنها) ، وفى اليوم التالى اشتد المرض عليه ﷺ ، وتناقل الناس أنباء المرض حتى سمعَ أُسامة (رضى الله عنه) بها ومن معه من المسلمين فى الجرف ، فتركوا المعسكر ، وحضروا إلى بيت النَّبىّ ﷺ

(١) انظر : « طبقات ابن سعد » (٤/٥٠) .

ودخل عليه أُسامة (رضى الله عنه) فوجده لا يتكلم .

فطأطأ أُسامة (رضى الله عنه) رأسه حتى قبّله النَّبىّ ﷺ ، ثم جعل يرفع يديه إلى السَّماء ، ويضعهما على أُسامة (رضى الله عنه) علامة الدعاء له .

★ ★ ★

عاد أُسامة (رضى الله عنه) ومن معه إلى الجرف ، وكانت صحوة الموت ، فكان الرسول ﷺ فى حالة طيبة ، لا يشكو من الصّداع ، ولا من ارتفاع درجة الحرارة .

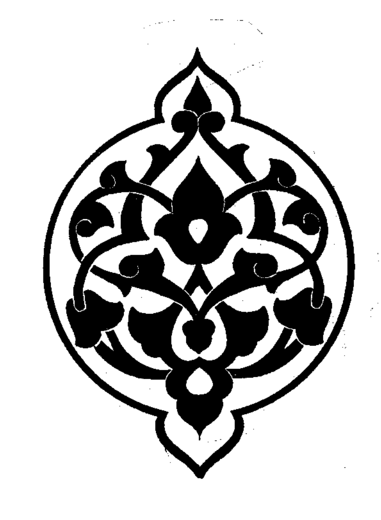
حضر أُسامة (رضى الله عنه) إلى رسول الله ﷺ ، ولما وجد الصِّحة بادية على وجهه استأذنهُ فى التَّحرك بالجيش لغَزْو الرُّوم .

فقال له النَّبىّ ﷺ : « اغْزُ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ » .

وكان آخر لقاء بين النَّبىّ ﷺ وبين أُسامة (رضى الله عنه) ، وكانت آخر كلمات يسمعها أُسامة (رضى الله عنه) من فَمِ رَسُول الله ﷺ .

★ ★ ★

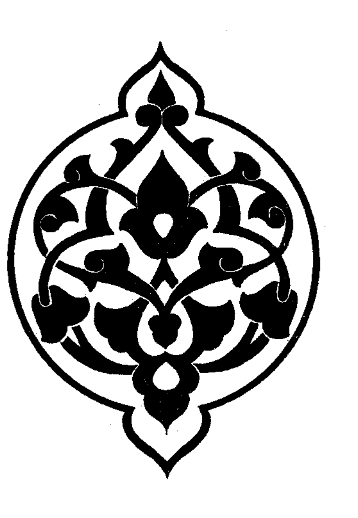
رجعَ أُسامة (رضى الله عنه) إلى معسكره ليعلن بدء التحرك إلى حدود الشام ، واستعد المسلمون للانطلاق معه إلى (أَبْنَى) على الحدود ، لكنه فوجئ برسول من عند فاطمة بنت قيس (رضى الله عنها) زوجته تقول له : لا تعجل ، فإن المرض اشتد على رسول الله ﷺ .



فأعلن أُسامة (رضى الله عنه) أن حياة الرسول ﷺ فى خطر ، ففزع المسلمون لهذا الخبر ، وتركوا المعسكر ، وعادوا مسرعين إلى المدينة ، عاد أُسامة (رضى الله عنه) معهم ، وكان رسول الله ﷺ قد لحق بربه ، وأبى أُسامة (رضى الله عنه) إلَّا أن يشترك فى غسله ﷺ ... ثم تم دفنه ﷺ .

★ ★ ★

مَوْقفٌ حَازم لأَبى بَكر (رَضِىَ اللَّهُ عَنهُ)



تولى أبو بكر (رضى الله عنه) الخلافة بعد أن لحق رسول الله ﷺ بربه ، والأُمور ليست مستقرَّة تماماً ، فهل سينفذ جيش أُسامة (رضى الله عنه) ؟ وإذا نفذ ، فهل سيكون أُسامة (رضى الله عنه) هو القائد أم سيختار غيره له الخبرة والعبقرية كخالد بن الوليد ، أو سعد بن أبى وقاص (رضى الله عنهما) ؟

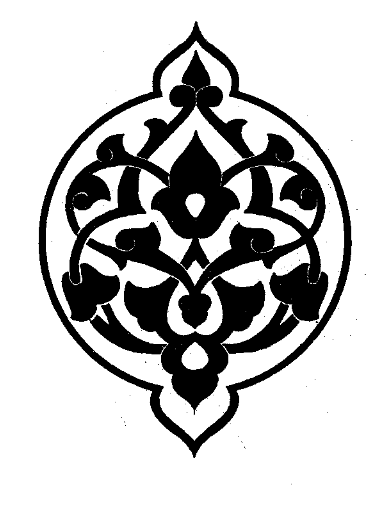
لقد ذهب من قال لأبى بكر (رضى الله عنه) : إن جيش أُسامة (رضى الله عنه) جند المسلمين ، والعرب قد انتقضت بك فلا ينبغى أن تفرق عنك جماعة المسلمين .

إن اليهود ما يزالون يحملون الكُرْهَ والبغضاء للمسلمين ، ولا عهد لهم ، فقد ينقلبون عليهم ، ويدخلون عليهم المدينة ، وقد ذهب جيشهم لمحاربة الروم ؟

فهل يستجيب أبو بكر (رضى الله عنه) لرغبة كبار المسلمين ، ويؤَجل تحرّك جيش أُسامة (رضى الله عنه) ؟ أَم ينفذ أمر النَّبىّ ﷺ ، ويتحمَّل مسئولية هذا الأَمر وحده .

سمع الخليفة لجميع الآراء من غير أن يسلك سبيل المحاورة أو المداورة فى رده وإنما يبتسم للجميع .

وأخيراً جاء أُسامة لأبى بكر (رضى الله عنهما) فقال له : إن رسول الله ﷺ بعثنى ، وأنا على خير حالكم هذه ، وأنا أَتَخَوَّف أن تَكْفُر العرب ، فإن كَفَرتْ كانوا أول من يقاتل ، وإن لم تَكْفُر مَضِيت ؛ فإن معى سروات الرجال وخيارهم .



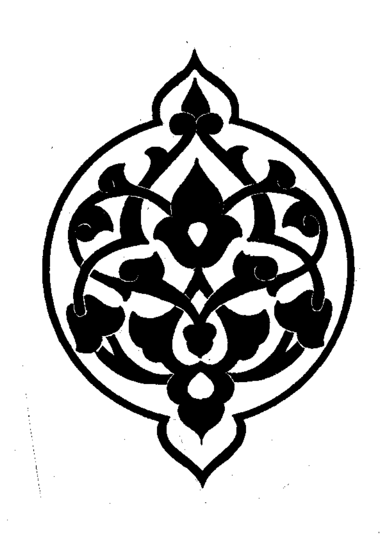
رد عليه الخليفة أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) ، وعلى غيره من الذين يرون تأخير بعثة أُسامة بن زيد (رضى الله عنهما) بخطبة طويلة حمد الله فيها وأَثْنَى عليه وصلَّى على رسوله ﷺ ، وتعرّض لأُمور كانت تشغل الرأى العام للمسلمين ، ثم قال : « والله لأن تَتخَطَّفنى الطَّير أَحَبّ إِلىّ من أَنْ أبدأ بشىء قبل أمر رسول الله ﷺ » ، ونفذ ما أمر به رسول الله ﷺ .

وأرسل إلى القائد أُسامة بن زيد (رضى الله عنهما) يطلب إليه أن يستعدّ لبدء الغَزْو .



وَسَار جَيْش أُسَامَة (رَضِىَ اللَّـهُ عَنهُ)

حدّد الخليفة أبو بكر (رضى الله عنه) موعد تحرك جيش أُسامة (رضى الله عنه) ، واستعدّ ليودّع هذا الجيش ، وكانت ساعة الوداع من أروع المواقف الإسلامية ، خليفة المسلمين أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) ماش على قدميه بجوار أُسامة (رضى الله عنه) وهو يمتطى جواده ، وبهذا يضرب الخليفة أبو بكر (رضى الله عنه) أروع مَثَلٍ على أن عظمة الحاكم العام ليست فى المظهر الخارجى من لبس الملابس الفَخْمَة ، والأثاث والرّياش ، وإنما تكون فى أداء واجبه على أكمل وجه .



خجل أُسامة (رضى الله عنه) حين رأى الخليفة يمشى بجوار جواده ، فقال له : « يا خليفة رسول الله ﷺ ... والله لتركبنّ أو لأنزلنّ » .

فيرد عليه الخليفة المسلم ، خليفة رسول الله ﷺ فيقول : « والله لا تنزل ... ووالله لا أركب ... وما علىّ أن أغبر قدمىّ فى سبيل الله ساعة » .

ثم يلتفت الخليفة إلى أُسامة (رضى الله عنه) ويستأذنه ويقول له : « إن رأيت أن تُعينَنى بعُمَر (رضى الله عنه) فتتركه معى بالمدينة » .

فيستجيب أُسامة (رضى الله عنه) لطلب الخليفة ، ويبقى له عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) .

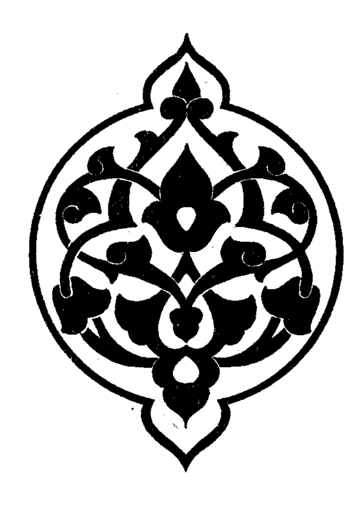
★ ★ ★

ثم وقف الخليفة أبو بكر (رضى الله عنه) يَخْطُب الجيش ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أيُّهَا النَّاس : قفوا أُوصيكم بعَشْر فاحفظُوها عَنِّى : لَا تَخُونُوا ، ولَا تَغْلو ، ولَا تغدرُوا ، ولَا تمثلوا ، ولَا تقتلُوا طفلًا صغيراً ، ولَا شَيْخاً كبيراً ، ولَا امرأة ، ولَا تعقِرُوا نَخْلًا ، ولَا تحرقُوه ، ولَا تَقطَعُوا شَجَرة مثْمرَة ، ولَا تذبحُوا بَقَرة ، ولَا بَعيراً إلَّا لمأكلة ... » .

هذه من المبادئ التى نادى بها رسول الله ﷺ ، وعمل بها المسلمون فى كل زمان ومكان .

ثم قال لأُسامة (رضى الله عنه) وهو يُعِدُّ نفسه للرحيل : « اصْنَع ما أَمَرَك بِهِ نَبىّ الله ﷺ ... ولا تقَصرنّ فى شىء من أَمْر رَسُول الله ﷺ » .



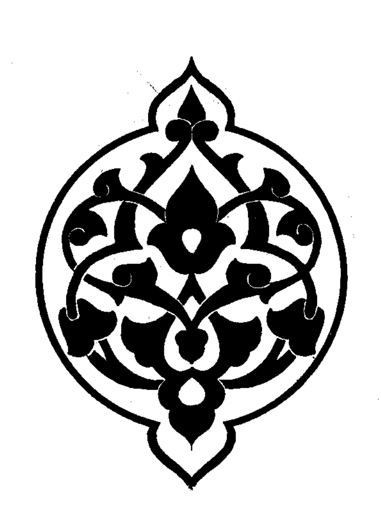
★ ★ ★

انطلق جيش أُسامة (رضى الله عنه) بعد أن ودَّعهُ الخليفة فى طريقه متحمِّلًا مَشَاق السَّفر فى صبر وإيمان حتى بلغ (البَلْقَاء) حيث دارت المعركة التى استشهد فيها والده زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة (رضى الله عنهم) ... وعلى الفور هاجم أُسامة (رضى الله عنه) القُرى التى حدَّدها له رسول الله ﷺ ، فَقَتَل وأَسَرَ منهم عدداً كبيراً ، وانتقم لأبيه ومن قُتِلَ معه .

وبعد أن استَسْلَم أهل هذه القُرى لجيش أُسامة (رضى الله عنه) مكث بها يوماً واحداً يجمع الغَنَائم والأسلاب ، ثم قفلوا راجعين لم يفقدوا جنديًا واحداً .



كانت المدة التى قضاها أُسامة (رضى الله عنه) وجيشه فى هذه الغَزْوَة حوالى أربعين يوماً أو أكثر ، فلما عاد إلى المدينة ظافراً منتصراً استقبله الخليفة ، وجَمْع كثير من الصحابة (رضى الله عنهم) ، فسلموا عليه ، وهَنَّأوه على توفيق الله - عَزَّ وَجَلَّ له فى غزوته المباركة وعمله الذى يرضى الله ورسوله ﷺ عنه ، ثم اتجه فور وصوله إلى المسجد ، حيث صلَّى ركعتين ، وبعدها انصرف إلى بيته .



لقد كان للانتصار فى هذه الغَزْوَة أثره البعيد ، فقد أظهر قوّة المسلمين ، وخوّف أعداءهم ، فبعد أن كانوا يحاولون أن يتحرشوا بالمسلمين ويعتدوا عليهم ، أصبحوا يخافونهم، فلا يفكرون فى مهاجمتهم أو الاعتداء عليهم .

وكان هذا من أهم نتائج غزو أُسامة (رضى الله عنه) للروم .



لم يشترك أُسامة (رضى الله عنه) فى الحياة العامة ، ولم يحاول أن يبحث عن منصب أو ولاية وإذا كان هناك دعوة للجهاد فى سبيل الله - عَزَّ وَجَلَّ - أسرع إليها .

كان له أرض بوادى القُرى ، وكان إذا ذهب إليها تراه صائماً ، وكان يكثر من صيام الاثنين والخميس ، ولما سُئِلَ فى ذلك ، قال : رأيت رسول الله ﷺ يصومها ، فلما سألته ، قال : « إِنَّ الأَعْمَالَ تُعْرَضُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ » .

وَكَان بَارًّا بأُمِّـهِ

قال محمد بن سيرين : إن النَّخلة بلغت ألف درهم ، فعمد أُسامة (رضى الله عنه) إلى نخلة ، فنقرها وأخرج جمارها فأطعمها أُمَّهُ .

فقيل لـه : ما يحملك على هذا وأنت ترى النَّخلة قد بلغت ألف درهم ؟

فقال (رضى الله عنه) : إن أُمِّى سألتنى ، ولا تسألنى شيئاً أقدر عليه إلَّا أعطيتها .

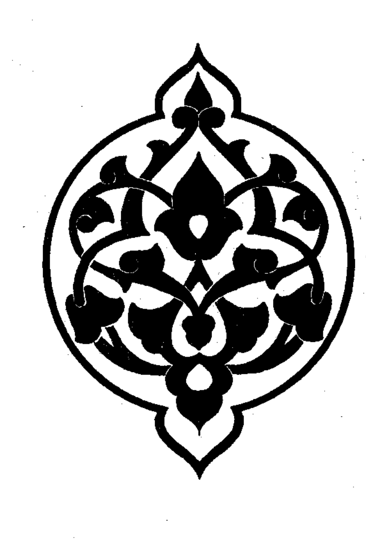
وَفَاةُ أُسَامَة (رَضِىَ اللَّهُ عَنهُ)

مات أُسامة (رضى الله عنه) فى عهد معاوية بن أبى سفيان ، وقد مات فى الجرف على بعد ثلاثة أميال من المدينة وحمل إلى البقيع بالمدينة .

قال سعيد المقبرى : شهدت جنازة أُسامة (رضى الله عنه) ، فقال ابن عمر (رضى الله عنهما) : « أعجلوا بحِبّ رسول الله ﷺ قبل أن تطلع الشمس » .

رحمه الله ورضى عنه .

★ ★ ★



وَإلى اللّقاءِ بمشيئةِ اللهِ مَعَ ..

سَعِيد بن العَاص

أكرم العرب وأفصح الناس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٧٣٠٧/ ١٩٩٦

